

جحا والحمار في محاكمة صدام

كوردتايمس - 2006/9/21

تقول الحكاية: ان ذات اليد ضاق بجحا مرة، فلم يجد امامه غير حماره المشهور لبيعه ويشترى بثمنه مايسد رمق اطفاله، فاصطحب معه ابنه اليافع الى سوق الحمير سلوى له على فراق حماره الذي احبه حبا جما، اكثر من حب العربان لنوقهم، واكثر من حب الشيوخ لنبيهم رسول الله، رغم ان الله شتمه في كتابه الكريم بقوله انه من انكر الاصوات، لكن جحا لم يكن ليستسلم للنوم الا على انعام نهيقه العذب، ولم ليستيقظ منه الا على نهيقه الموزون المقفى، وكان جحا يقدر لحماره جلمه وسعة صدره وتعاليه على الرد على الله الذي اساء اليه بنزق وسوقية وقلّة ادب بقوله اعلاه، كما كان يقدر له خدماته الجليّة وتقانية وصبره وتحمله المشاق لخدمة صاحبه جحا، لذلك كله كان جحا حزينا على فراقه، ومضطرا لبيعه ليوفر لاطفاله مايسد رمقهم، فلم يقوَ على عدم تكريمه ولو لدقائه الاخيرة معه، فكان يجره وراءهما متطأني الرأسين في طريقهما الى سوق الحمير، فمر بهما رجل وعلق عليهما بقوله: ما اغباهما من رجلين، عندهما حمار وهما مترجلان لا يركبانه، فنظر جحا الى ابنه مرتبكا خجلا، وقال له: امتطي الحمار يا بني، فوالله ان قلبي ليمنعني من ركوبه في اخر ساعاتي معه، فاطاعه ابنه وركب الحمار، فمر بهما شيخ مسن معلقاً: ما اعق هذا الولد، يركب الحمار وهو شاب تاركا اباه المسن راجلا يجرجر ساقيه وراءه جراً؟ فاضطر جحا ليحل محل ابنه على ظهر حماره، حتى مر بهما شابة متممة: ما أقسى هذا الرجل، يركب الحمار من دون فلذة كبده، فدعا جحا ابنه للركوب معه، حتى مر بهما جمع من الناس فأستكرا عليهما ركوب الحيوان المسكين معاً دون رحمة، فما كان من جحا الا ان نزل ليشد قوائم حماره الامامية معاً والخلفية معاً ومرر خشبة طويلة بين القوائم المشدودة وحمل احدى نهايتها على كتفه وطلب من ابنه رفع النهاية الاخرى للخشبة، فتعلق الحمار مقلوبا على ظهره ومشيا به حاملين اياه الى سوق الحمير.

تذكرت هذه الحكاية وانا اشاهد احدى الفضائيات تستضيف بعثيا معروفا بحبه لسيدة صدام، حب جحا لحماره، كان يشغل منصب الامين عام للمحامين العرب في لندن بدعم من النظام البعثي، لكنه اليوم يظهر عليه التيتيم بعد انقطاع عطايا سيده صدام حسين عنه، وهو يصف هذا القاضي العراقي بأنه شاب قليل الخبرة، والاخر بأنه شديد العقاب، وما قبله بالكردي، ومابعده بالشيعي، ومابينهما بعدم النزاهة، وكلهم بالانحياز، فلم يبق امام القضاء العراقي الا ان يفعل ما فعله جحا بحماره، ليذهب مثلاً للاجيال القادمة، فقد كان صدام مشكلة في حكمه، وهو مشكلة في قفصه، وكان مشكلة حتى لامه التي ولدته ولخاله الذي رباه وللسابقين واللاحقين، وهو بهذا وذاك احدى المهازل التي يخلقها الله ويرسله زحمة للعالمين.